

الصحافة والثقافة

تجربة أمريكية تستحق النظر

كان الامبراطور فيلهلم يكره الصحف ويحمل على الصحفيين . وكان يبدى عجبه إذ يرى أن جميع الحرف العالية كالطب أو المحاماة أو الهندسة لا يؤذن لأحد بممارستها الا بعد الحصول على شهادة جامعية ، أما الصحافة فتفتح لكل طارق أو واغل . وتبدو على هذا الرأي مسحة الصدق . ولكن عندما نذكر أن الصحافة تعالج جميع الشؤون الثقافية تتضح لنا سخافة هذا الرأي . ففى اللغة الانجليزية نحو عشرين صحيفة - بين جريدة ومجلة - تعالج البترول الطبيعى والكيمائى صناعة وتجارة . وهناك فى هذه اللغة أيضا مئات المجالات التى تعالج التصوير الفوتوغرافى . ومئات أخرى تعالج البقالة والصيدلة والبناء والبورصة . بل إن للزراعة من المجالات الاختصاصية ما يعد أيضا بالمئات . فمنها ما يتعلق باللبن ومشتقاته صناعة أو تجارة ، ومنها ما يتعلق بالقطن وحده أو بالغابات أو بالحدائق أو بالفواكه . وليس من المعقول أن نطالب كل من يكتب فى هذه الموضوعات بأن يحمل شهادة جامعية تشهد على أنه قد درس آداب الاغريق أو الكيمياء أو الميكانيكيات . لأن هذه العلوم لاتصل بما تعالجه الصحف . ولأن كثيرا من هذه الموضوعات لا تعرفه المدارس أو الجامعات إذ هو من ثقافة الشعب وإن انحصرت فى بيانات معينة .

والجريدة اليومية وإن كانت تلتفت للسياسة المحلية أو العالمية أكثر مما تلتفت الى أى موضوع آخر تحتاج الى جميع هذه "الاختصاصات" فى فنون مختلفة . وهى تعنى أو تهمل بعض الموضوعات وفقا للبيئة التى تنبت وتنمو فيها . ففى الأقطار الزراعية بل حتى فى الأقاليم الزراعية نجد الالتفات الكبير لشؤون الزراعة . كما نجد صحف البيئة الصناعية تطالب محرريها بمتابعة الرق العلمى الذى يحتاج اليه رقب الصناعات .

والواقع أن الصحافة ستبقى شعبية . وإيجاد أقسام صحفية فى بعض الجامعات لا يقصد منه إلا الى تنظيم الفرصة للتعليم . فإن الصحيفة تحتاج الى الكتابة الصحيحة . والمحرر الذى يغذو نفسه وينمى ثقافته يحتاج الى الوقوف على لغتين أو ثلاث لغات أجنبية . ولكن الصحافة أكبر بكثير من معرفة اللغات والكتابة الصحيحة . والجريدة أو المجلة الراقية هى التى تبعث فى قرائها روح النمو الذهنى . والمحرر العظيم ليس هو المحرر الذى اختبر الصحافة وعرف

الفنون الصحفية من حيث القدرة على الترويح والكسب . بل لعل هذه الميزات قد تكونت نقائص إذ هي تحيل الصحيفة إلى أداة للكسب فقط وتفقد بذلك رسالتها للتثوير والإرشاد والتعليم . ولذلك قد يكون المحرر العظيم الذى يرشد وينير هو أجهل الناس بالنواحي التجارية للصحيفة . وجهله لهذه النواحي لا ينقص من فضله وقيمه . والمثل على ذلك ليس بعيدا . فحين نرى فى مصر مجلات أسبوعية قد برع أصحابها فى ترويحها ووصلوا إلى أقصى الغايات فى الانتشار . ولكن المتأمل للون السائد فى تحرير هذه المجلات لا يسهه إلا الاعتراف بأنه لون سيئ . وأن متوسط الذكاء عند قراء هذه المجلات لا يمكن أن يزيد على المتوسط عند صبيان فى الثانية عشرة من أعمارهم . فالقن الصحفى هنا ليس ناقصا ولكن ما تحتاج إليه هذه المجلات هو المحرر الكبير الذى يرفض أن ينقاد إلى قرائه ويترل على مستواهم الفريزى . أى هو الذى يصّر على أن يرفعهم إلى المستوى العقلى وبيعهم على التفكير ولو أدى هذا إلى أن ينقص عدد قرائه .

والمحرر الكبير هو ذلك الذى لا ينقطع عن الدراسة أى دراسة المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويبحثها جميعها بروح العالم الاختصاصى ولكنه يشرحها بأسلوب الصحفى الذى يريد أن يصل إلى جمهوره . والصحافة الراقية هى التى تصل بين الاختصاص والثقافى وبين المعارف الشعبية . وكثيرا ما ينقطع الشاب عقب تخرجه من الجامعة أو المدرسة عن التحصيل المنظم . بل هذا هو الواقع فى جميع الشبان تقريبا ولا يبق عند هؤلاء من وسيلة للاستمرار فى ترقية أذهانهم وتخمى ثقافتهم غير الجريدة أو المجلة . فإذا كان الصحفى غير المسذير قد ركذ ذهنه منذ سنوات فإنه بتفكيره وتحريره يؤخر جمهوره ويعمم القصور والجمود .

وفى هذا الصدد نذكر تجربة قامت بها جامعة هارفارد فى الولايات المتحدة الأمريكية . فقد مات أحد الصحفيين الأثرياء وأوصت أرملته بمبلغ كبير تنفق منه جامعة هارفارد على ترقية المحررين والمخبرين . وقد تركت هذه السيدة — ممزنيان — حق الاختيار والتوجيه والأسلوب للجامعة .

وعندئذ عمدت هذه الجامعة فى سنة ١٩٣٧ إلى تسعة من الصحفيين : أربعة منهم مخبرون وخمسة محررون . ولم توضح الجامعة الأسس التى اختارت عليها هؤلاء التسعة . إنما يتضح من البيانات التى نشرت عنهم أن كلا منهم قد قضى إلى الأقل خمس سنوات فى الصحافة وكثير منهم قضى عشر سنوات . وواحد منهم قضى عشرين سنة فى الصحافة . ومن هؤلاء ستة قد حصلوا على شهادات جامعية . أما الأعمار فتتراوح بين ٢٥ و ٤٠ سنة ، وقد طلب إلى كل من يرشح نفسه أن يعين المواد التى يحتاج إلى درسها لكي يرق بها عمله الصحفى وتمهدت الجامعة زيادة على جعل التعليم بالمجان بأن تؤدى لكل من هؤلاء التسعة أجره

الصحفى الذى كان يتناوله من الجريدة أو المجلة التى كان يعمل فيها قبل انتقاله الى الجامعة والإقامة هو وعائلته فى حيا .

وقد رحل هؤلاء التسعة مع عائلاتهم إلى جامعة هارفارد وهناك قضوا سنة كاملة فى الدرس .

وقد اختار أحد هؤلاء درس التاريخ الأمريكى من ناحية العلاقات بين الولايات المتحدة وبين الأقطار اللاتينية أى أمريكا الجنوبية . واختار آخر التوسع العلمى بدرس الطبيعيات لأنه يتخصص فى نشر الأخبار العلمية وشرحها فى مقالات شعبية . أما السبعة الآخرون فقد جعلوا دراساتهم عامة محيطة بما يتصل بالشؤون الاقتصادية والسياسية والاجتماعية مثل الاقتصاديات والاقتصاديات الزراعية وإعانات المتعطلين والمسائل الخاصة بالأقاليم الجنوبية فى الولايات المتحدة .

هذه هى المسائل التى أراد هؤلاء الصحفيون أن يتخصصوا فيها . ولكن قاعات المحاضرات فى جميع الكليات فتحت لهم وأجيز حضورهم فيها لكى يزدوا ثقافتهم ولكى يجدوا النزعة الذخنية التى تحب إليهم الثقافة . وقد رتبت لهم الجامعة عشاء أسبوعيا يتناوب الحضور فيه عدد من الأساتذة الذين ينفع الصحفيون بالتعرف إليهم والاسترشاد بأرائهم فى دراساتهم المختلفة . ومن هؤلاء الأساتذة الدكتور هنريش براوننج المستشار السابق فى ألمانيا سنة ١٩٣١ ، فإن جامعة هارفارد عقب الانقلاب الألمانى استقدمته للانتفاع بتدريسه .

وقد حضروا عشرات المحاضرات . ونضرب مثلا على ذلك بما فعله ذلك الصحفى الذى قلنا إنه يختص بتحرير المقالات العلمية وشرح العلوم بلغة يستطيع الجمهور فهمها . فإنه حضر المحاضرات فى الطبيعيات الذرية ، والفلك ، والفسولوجية . والبكتريولوجية . والطب الوقائى . والاثربولوجية ، وتاريخ العلوم . وكل هذه مسائل يحتاج هذا المحرر إلى تبسيطها لقرائه . ونعم هذا الجمهور الذى يقرأ لهذا المحرر المتعلم .

وهكذا الشأن فى سائر الصحفيين . فإنهم جميعهم اختاروا ألوانا من الثقافة العامة أو مما يتصل بعملهم الصحفى . وقد أكب أحدهم على دراسة التاريخ البيزنطى مثلا . ووجدوا جميعهم فى آلاف المجلدات التى تزخر بها مكتبات الجامعة ما بعث فيهم روح البحث . وعادوا بعد عام إلى صحفهم أكثر ثقافة وأعمق نظرا فى المشكلات العامة وأكثر نفعا لقرائهم .